موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر (١٧٩٨ -١٨٠١)

Algeria's position on the French occupation of Egypt (1798-1801)

د. فريال صبري علي
مديرية تربية محافظة البصرة

Dr. Ferial Sabri Ali
Basra Governorate Education Directorate

feryalaledany@gmial.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢١/١١/٢	٢٠٢١/١١/٢٩

الكلمات المفتاحية: الجزائر– فرنسا– نابليون بونابرت– سليم الثالث– الداي مصطفى باشا

Keywords: Algeria - France - Napoleon Bonaparte - Selim III - Dey Mustafa Pasha

الملخص

شهد العقد الأخير من القرن الثامن عشر، صراعا استعماريا تفاقم بعد قيام الثورة الفرنسية في تموز ١٧٨٩ التي اسقطت النظام الملكي وأعلنت الجمهورية. وقد سعت الحكومة الجديدة على تحقيق مكاسب وانتصارات خارج اطار القارة الاوربية بهدف النهوض بفرنسا ، واستعادة المستعمرات التي خسرتها في أوروبا . وقد شكل الاحتلال الفرنسي لمصر(١٧٩٨–١٨٠١) جزءا مهما من تلك الخطط التي تهدف من خلالها إقامة مستعمرة فرنسية تصل ابعادها نحو الهند وأفريقيا. وقد اتسم الموقف الجزائري من الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ بالتذبذب. اذ أسهمت عوامل عدة في تحديد موقف الجزائر والذي تأرجح بين الحياد تارة وإعلان الحرب على فرنسا تحت ضغط السلطان العثماني تارة أخرى. وقد سعت الجزائر في كثير من الأحيان بالتظاهر في اعلان الحرب ، انطلاقا من المصالح السياسية والاقتصادية التي ارتبطت بها مع فرنسا. وعلى الرغم من تراجع الداي عن موقفه وإعلان الحرب، الا ان العلاقات مع فرنسا استمرت بشكل سري لغاية انسحاب القوات الفرنسية من مصر عام ١٨٠١ .

Abstract

The last decade of the eighteenth century witnessed a colonial conflict that exacerbated after the French Revolution in July 1789, which toppled the monarchy and declared the Republic. The new government sought to achieve gains and victories outside the framework of the European continent in order to advance France and restore the colonies it lost in Europe. The French occupation of Egypt (1798-1801) constituted an important part of those plans, which aimed to establish a French colony, extending to India and Africa.

The Algerian position on the French occupation of Egypt in 1798 was characterized by fluctuation. Several factors contributed to determining the position of Algeria, which oscillated between neutrality at times and declaring war on France under the pressure of the Ottoman Sultan at other times. Algeria has often sought to pretend to declare war, based on the political and economic interests that it associated with France. Although the Dey retreated from his position and declared war, relations with France continued in secret until the withdrawal of French forces from Egypt in 1801.

المقدمة

شهد العقد الأخير من القرن الثامن عشر، صراعا استعماريا تفاقم بعد قيام الثورة الفرنسية في تموز ١٧٨٩ التي اسقطت النظام الملكي وأعلنت الجمهورية. وقد سعت الحكومة الجديدة على تحقيق مكاسب وانتصارات خارج اطار القارة الاوربية بهدف النهوض بفرنسا ، واستعادة المستعمرات التي خسرتها في أوروبا والهند. وقد شكل الاحتلال الفرنسي لمصر(١٧٩٨-١٨٠١) جزءا مهما من تلك الخطط التي تهدف من خلالها إقامة مستعمرة فرنسية تصل ابعادها نحو الهند وأفريقيا .وكانت للجزائر التي عدت احدى اهم الولايات التابعة للدولة العثمانية ، موقفا مهما من الاحتلال الفرنسي لمصر، بسبب المكانة العسكرية والبحرية المهمة التي اكتسبتها في البحر المتوسط ، فضلا عن أهميتها التجارية ، التي شكلت هاجسا لدى الدول الاوربية ومنها فرنسا التي اصطدمت مع الجزائر في عدد من المعارك البحرية ، حتى اضطرت في الأخير الى عقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات، التي نظمت العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين، منذ عام ١٦٢٨ واستمرت بشكل اكبر بعد قيام الثورة الفرنسية التي كان للجزائر موقف داعم ومؤيد لها .

إن الوقوف على دراسة موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ يتطلب الكشف عن أسباب ودوافع الاحتلال الفرنسي لمصر ، وصولا الى دور الدولة العثمانية في مواجهة ذلك الاحتلال من خلال دعوة ولاتها في شمال افريقيا ومنها الجزائر الى اخذ الدور الحقيقي والجاد من اجل التصدي للفرنسيين منذ إعلانها الحرب في أيلول ١٧٩٨. وقد أسهمت عوامل عدة في تحديد موقف الجزائر والذي تأرجح بين الحياد تارة وإعلان الحرب على فرنسا تحت ضغط السلطان العثماني تارة أخرى. وكان موقف الداي يتأثر على وفق المصالح الاقتصادية والعلاقات الودية التي ارتبط بها مع الحكومة الفرنسية ، فبدلا من اتباع توصيات السلطان العثماني بالتصدي للسفن الفرنسية في البحر المتوسط ، اقدم الداي على التنصل من تنفيذ أوامر السلطان، بل اقدم على تقديم المعونات الغذائية التي كان يحتاجها الجيش الفرنسي في مصر . واستمر الداي في مراوغته لحين صدور أوامر من السلطان العثماني، باستخدام القوة العسكرية ضد الجزائر ان لم تعلن الحرب على فرنسا . وعلى الرغم من تراجع الداي عن موقفه وإعلان الحرب، الا ان العلاقات مع فرنسا استمرت بشكل سري، لغاية انسحاب القوات الفرنسية من مصر عام ١٨٠١ .

قسمت الدراسة الى ثلاثة محاور تناول المحور الأول الخلفية التاريخية للعلاقات الجزائرية الفرنسية قبل قيام الجمهورية ، والكشف عن العوامل المؤثرة في تطورها، وما هي الأبعاد السياسية والاقتصادية التي طبعت هذه العلاقات. واستعرض المبحث الثاني موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر بعد قيادة نابليون بونابرت للحملة في تموز ١٧٩٨. بينما ركز

المبحث الثالث على موقف الجزائر الذي اتسم بالتذبذب من اعلان الحرب على فرنسا، وتوجهات الداي الجزائري في الحفاظ على العلاقات مع فرنسا على الرغم من إعلانه الحرب تحت ضغط السلطان العثماني اما المبحث الرابع فقد تناول العلاقات الفرنسية الجزائرية بعد انسحاب القوات الفرنسية من مصر. كما تضمن البحث على مقدمة وخاتمة لبيان اهم النتائج التي تطرقت اليها الدراسة . وفي الختام ارجو ان يحظى هذا البحث بالقبول ونسأل الله التوفيق والسداد .

أولا : العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ عام ١٥٤٣ حتى قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩

اتخذت الدولة العثمانية من الجزائر التي أعلنت تبعيتها لها عام ١٥١٨ خط دفاع اماميا في غرب البحر المتوسط لصد الاعتداءات الاسبانية والبرتغالية في المنطقة . ثم لجأت الى توثيق علاقاتها مع حليفتها فرنسا عام ١٥٣٦ التي خاضت صراعا مع اسبانيا للتنافس على العرش في اوربا ورغبة فرنسا في السيطرة على البحر المتوسط لاهميته الاستراتيجية والجغرافية . وقد عمدت فرنسا إلى وساطة السلطان العثماني سليمان القانوني[١] (١٥٢٠-١٥٦٦) لحل النزاع مع الجزائر. وقد اضطرت الاخيرة لاقامة علاقات شبه رسمية مع فرنسا ، وأرغمت على تقديم الدعم العسكري لفرنسا بأشراك سفنها البحرية، لصد الهجمات الاسبانية التي قادها الملك الاسباني شارلمان على الشواطئ الفرنسية عام ١٥٤٣ [٢].

وقد استغل الفرنسيون ذلك التقارب فعينت اول قنصل لها في الجزائر عام ١٥٨١ [٣]. وحققوا مكاسب اقتصادية تمثلت في الامتيازات التي ابرمها السلطان العثماني احمد الأول(١٦٠٣-١٦١٧) مع الملك الفرنسي هنري الرابع[٤] عام ١٦٠٤ منحت الدولة العثمانية

---

(١) سليمان القانوني : **ولد عام**١٤٩٥ في طرابزون في تركيا، تولى الحكم بعد خلفا لابيه السلطان سليم الأول عام١٥٢٠. اجرى السلطان سليمان إصلاحات واسعة في النظامين القضائي والإداري العثماني. وقاد الحملات العسكرية العثمانية احتل من خلالها بلغراد ورودوس ومعظم وفرض حصار على فيينا عام ١٥٥٢. كما خاض صراعا ضد مع الصفويين حول العراق. وتوسعت املاك الدولة العثمانية لتشمل مناطق واسعة من شمال أفريقيا . وبلغت سيطرة الأساطيل العثمانية على البحر المتوسط و البحر الأحمر حتى الخليج العربي . كما شهدت سنوات حكمه صراعات بين أبنائه اسفرت عن قتله لابنه مصطفى . واحاط نفسه بعدد من رجال الدين ووزراء اكفاء .وعرف بتعميم القوانين التي اضفت الحداثة على إدارة الدولة فلقب بالقانوني . توفي في ٧ أيلول ١٥٦٦ اثناء حصار مدينة سيكتوار . ينظر : عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٣،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) يحيى بو عزيز،الموجز في تاريخ الجزائر، ج٢، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٩، ص٢٣-٢٤.

(3) Paul Gaffarel.la Conquête de l'Algérie jusque a la prise de Constantine ;Libraire de Firmin Didot et c i.e. Mesnil ,1956.p28 -29.

(٤) هنري الرابع : هو ابن الملك هنري الثالث ولد عام ١٥٥٠ . وقد تولى الحكم عام ١٥٦٥. وثق علاقاته مع رجال الدين وعين الأساقفة مما اثار الخلاف مع البابا جريجوري السابع . واستعاد حكمه على عدد من المقاطعات ومنها سكسونيا . وقد تطور خلافه مع البابا

بموجبها ، امتيازات اقتصادية لفرنسا في الجزائر، تمثلت في صيد المرجان وتصدير الحبوب، والجلود، والصوف، والشمع، ومنتجات أخرى[١]. كما سمحت لها في اقامة الباستيون الذي يعد بمثابة اول ممثلية تجـارية لفرنسا في افريقيا [٢]. واستمرت العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين، سوى الانقطاع الذي تم خلال الحروب التي قامت نتيجة لتضارب المصالح الاقتصادية، ومحاولة رياس البحر الجزائريين فرض سطوة الاسطول الجزائري على سواحل البحر المتوسط[٣] . وقد تحقق اول اتفاق مباشر بين البلدين في ١٩ ايلول ١٦٢٨، الذي وثق عرى الصداقة والاستقرار [٤]. ثم استثمرت فرنسا تلك العلاقات، فعقدت سلسلة من معاهدات الصداقة والتعاون مع الجزائر، حققت فرنسا من خلالها مكاسب اقتصادية مهمة لسفنها وتجارها، بينما تلقى حكام الجزائر لقاء ذلك عددا من الهدايا والمساعدات العينية، وفرضوا على فرنسا دفع الرسوم والضرائب السنوية [٥] .

وفي عهد الدايات[٦] الذي بدا عام ١٦٧١ أصبحت الجزائر تتمتع باستقلال شبه تام، وبدأت اتصالاتها بالدول الاوربية وفي مقدمتها فرنسا . واتخذت تلك العلاقات سمة الحرب تارة

الى الحد الذي غزا فيه إيطاليا عام ١٠٨١ وطرد البابا من روما هام ١٠٨٤ . وقد اجبره ابنه هنري الخامس على التنازل عن العرش عام ١١٠٥. ينظر :

عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٧،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.، ص١٥١.

(١) سارة العيشي وخديجة موساوي، الامتيازات الفرنسية في الجزائر خلال العهد العثماني ١٦٠٤-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بو ضياف، الجزائر، ٢٠١٧، ص٢٠ .

(2) Paul Gaffarel.Op,Cit.,Pp28 -29.

(٣) يحيي، بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ١٥٠٠-١٨٣٠، الجزائر،١٩٨٠، ص٧٠-٧٥.

(٤) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل عام ١٨٣٠، ج٢، ط٢، الجزائر، ٢٠٠٧ ص٠ ٢ .

(٥) خطاب فطوم، التحالف الأوربي وتجدد العلاقات الفرنسية الجزائرية ١٨٠٠-١٨٣٠،رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر، ٢٠١٥، ص٧٥.

(٦) الدايات : ومفردتها الداي لقب اطلقته الدولة العثمانية على من يتولى إدارة الجزائر وقد بدات تلك الحقبة من عام(١٦٧١-١٨٣٠) وتعني الداي الخال باللغة العثمانية القائد او

او عقد المعاهدات والاتفاقيات الدولية وتعيين القناصل الأجانب تارة اخرى دون الرجوع إلى السلطان العثماني . وقد اظهرت الجزائر قوة وحنكة دبلوماسية في هذه المرحلة بتعاملها مع فرنسا وفي قدرتها على مواجهة الاحداث. فعادت العلاقات الى الهدوء والاستقرار، بعد خلافات طالت البلدين بسبب التنافس على السيادة واختلاف المصالح في البحر المتوسط، واجريت مفاوضات توجت بمعاهدة السلم المئوي عام ١٦٨٩ التي أسهمت في إقرار السلم والاستقرار، وحددت المصالح التجارية والاقتصادية بين البلدين[١].

ومع اعتلاء لويس السادس عشر[٢] عرش فرنسا (١٧٧٤-١٧٩٠) بدأت العلاقات الفرنسية الجزائرية تشهد فترة هدوء واستقرار. فقد سعى لويس السادس عشر على تثبيت كل ما جاء في المعاهدات التي أبرمت بين البلدين، وحث ضباط السفن الفرنسية والتجارية على احترام تلك المعاهدات. كما حرص الجانبان على اقرار طابع السلم والصدق في المعاملة ومنع تكرر حوادث البحر ، وجرت مفاوضات بين البلدين اسفرت عن توقيع اتفاق في ٢٩ اذار ١٧٩٠ تعهدت الجزائر بموجبه احترام سيادة فرنسا على مياهها الإقليمية، والالتزام بالاتفاقيات المعقودة مع كلا البلدين . واستمرت تلك العلاقات لغاية اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ والتي كان للجزائر موقف داعم للثورة كما سيتضح في ثنايا البحث [٣].

الحاكم الذي يدير ويدافع عن البلاد. ينظر : سحر ماهود محمد، الأجهزة الإدارية العثمانية في ايالة الجزائر، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج ١٥،العدد ١، ٢٠١٧، ص١٠٤.

(١) مجاهد حبيب، العلاقات الفرنسية الجزائرية خلال عهد الدايات ١٦٧١-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة مولاي الطاهر، الجزائر، ٢٠١٣، ص٦٠.

(٢) لويس السادس عشر : ملك فرنسا ولد عام ١٧٥٤ وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١٧٦٥ وهو في العشرين من عمره . عرف بضعف ارادته وتاثير المحيطين به وكان معاديا للإصلاح الجذري . وقد شهد في عهده الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وقد فشل في القضاء عليها . لذلك قرر الهرب الى ميتز الا انه القي القبض عليه واعدم في كانون الثاني ١٧٩٣ . ينظر : عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٥،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.، ص ٥٣٥-٥٣٦.

(٣) خطاب فطوم، المصدر السابق، ص٨٣.

ثانياً: موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨.

مع اندلاع الثورة الفرنسية في ١٥ تموز ١٧٨٩، بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين. اذ بادرت الجزائر في ٢٠ أيار١٧٩٣ للاعتراف بالنظام الجديد الذي نجم عن قيام الثورة ، على الرغم من تحفظ الحكومة العثمانية، لخشيتها من الاثار السيئة التي قد تلقيها احداث الثورة على مصالحها في البحر المتوسط(١) . الا ان الجزائر وثقت علاقتها مع فرنسا وابقت جميع المعاهدات السابقة التي عقدتها في عهد الملكية. ثم تعمقت العلاقات بين الطرفين بشكل اكبر في ظل الحصار القاري(٢) الذي فرضته الدول الاوربية على فرنسا، اذ وقفت الجزائر الى جانبها وقدمت لها المساعدات اثناء الضائقة الاقتصادية التي مرت بها. فقدم الداي حسن باشا(٣) المعونات الغذائية من القمح والشعير، وانقذ الشعب الفرنسي من الوقوع بكارثة المجاعة. كما دعمت الجزائر للجيش الفرنسي وامدته بالجلود والصوف

(١) جميل عائشة،الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني ١٥٢٠-١٨٣٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليباس، الجزائر، ٢٠١٨ ص١١٢.

(٢) قامت بريطانيا بفرض حصار على فرنسا بدعم من الدول الاوربية منذ عام ١٧٩٢-١٧٩٣ وعلى هذا الأساس امتنعت بعض الدول من التعامل مع فرنسا . غير ان الولايات المتحدة الامريكية أبدت الدعم لفرنسا من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية . ينظر : حكيمة حدون و خديجة بن رنجة، مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة البدايات (حرب اليونان انموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦، ص٥٠.

(٣) الداي حسن : هو حفيد الداي السابق" محمد بن عثمان لقب ببابا حسن، و شغل عدة مناصب، فتولى منصب وكيل الخرج، ثم تقلد منصب الخزناجي. وبعد توليه ادرة الجزائر عام١٧٩١، إقام علاقات دبلوماسية مع اغلب الدول الاوربية .وتم جلاء القوات الاسبانية من وهران والمرسى الكبير . واقام علاقات ودية مع فرنسا امتازت بالتعاون التجاري والاقتصادي . وعقد مع الولايات المتحدة معاهدة عام ١٧٩٥ تمكن من خلالها فرض الضرائب السنوية، ومليون ونصف مليون دولار لقاء اطلاق الاسرى الامريكان لدى الجزائر . واتسم مدة حكمه بالاستقرار السياسي في الجزائر . توفي عام ١٧٩٨. للمزيد ينظر : بو زرينة سعيد، حكم البدايات في الجزائر... حسن باشا أنموذجًا (١٢٠٥-١٢١٢هـ/١٧٩١ -١٧٩٨م(سياسته ومنجزاته المعمارية، المجلة العلمية لكلية الاداب، العدد ٧٢، أسيوط، أكتوبر ٢٠١٩ .

والخيول[١] . ومع استمرار الحصار الاوربي، سمح الداي حسن باشا تمويل الحكومة الفرنسية عام١٧٩٤ من الموانئ الجزائرية، وقدم لفرنسا قرض بلغ مليون فرنك بدون فوائد، واشترط عليها شراء الحبوب من الجزائر، وقد أسهمت تلك الديون في اثارة التوتر بين البلدين بسبب تعثر فرنسا في تسديدها [٢] .

وهذا دليل على الاستقلال شبه الرسمي الذي تمتعت به الجزائر عن الدولة العثمانية في عهد الدايات الذين اصبحوا بمثابة حلفاء للسلطان العثماني، ورفضوا الالتزام بالقرارات السياسية والعسكرية التي تصدرها الدولة العثمانية .

وبعد تولي نابليون بونابرت[٣] الحكم في فرنسا، اتخذت العلاقات بين الجزائر وفرنسا مساراً جديداً . فقد قاد نابليون القوات الفرنسية وتمكن من تحقيق الانتصار على التحالف الأوربي الذي تزعمته إنكلترا للإطاحة بالجمهورية الفرنسية [٤]. ولم يكتف نابليون عند ذلك الحد ، فقد حاول اخراج فرنسا من عزلتها، ثم قرر توجيه ضربة للمصالح الانكليزية في الشرق، لاسيما الهند اكبر المستعمرات الإنكليزية. كما سعى لتعزيز مكانة فرنسا في حوض البحر المتوسط

(١)عديدة الشارف، خلفيات التنافس الأمريكي الفرنسي على منطقة المغرب العربي ١٧٨٣-١٩٦٢دراسة في حالة الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والاجتماعية، العدد ٤٣، جامعة بابل، نيسان ٢٠١٩، ص٧٨٤.

(٢) عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢٠٠٢،٠١، ص ١١١-١١٢.

(٣) نابليون بونابرت : ولد في مدينة أجاكيسو عاصمة جزيرة كورسيكا عام ١٧٦٩ التحق في مدرسة سان سير العسكرية، وفي عام ١٧٨٥ عين برتبة ملازم أول في الجيش الفرنسي. وبعد انطلاق الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ظهور له على مسرح السياسة في فرنسا اثر مشاركته في القضاء على المظاهرات التي قام بها الملكيون و العناصر المحافظة. وفي عام ١٨٠٤ نصب نفسه إمبراطورا على فرنسا وخاض صراعا مع التحالفات الاوربية التي عقدت للقضاء على الثورة لغاية استسلامه في معركة واترلو عام ١٨١٥ . توفي في منفاه في جزيرة هيلانة في المحيط الأطلسي عام ١٨٢١. ينظر : عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٦،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٤) إسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث،ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧، ص٢٠٤

وتحويله الى مستعمرة، وصولا الى هدفه الرئيس في تأسيس امبراطورية [١] . وبما ان مصر تقع على طريق المستعمرات لذلك اعد نابليون حملة للسيطرة عليها اولا[٢] .

وبناء على ذلك ، انطلق الاسطول الفرنسي في ١٩ أيار ١٧٩٨ بقيادة نابليون من ميناء طولون جنوب فرنسا بـ ٣٥ الف جندي على متن ٣٠٠ سفينة رافقتها ٥٥ سفينة حربية. وبعد وصوله الى مالطة ، اقدم نابليون على فرض حصار جزئي على الجزيرة ، وتمكن من احتلالها [٣]. ثم اطلق نابليون سراح الاسرى المسلمين المتواجدين فيها ، متظاهرا بحبه للاسلام ورغبته في انقاذ العالم الإسلامي من خطر القراصنة. فبعث نابليون الى الايالات المغربية يخبرها بذلك ومن بينها الجزائر التي احتفلت بانتصارات نابليون في مالطا. وفي ٢٨ حزيران وصلت حملة نابليون الى سواحل الإسكندرية فتمكن من احتلالها، ثم زحف بقواته نحو القاهرة واحتلها في ٢١ تموز، بعد هزيمة المماليك في معركة الاهرام[٤] . وفي ٢٤ من الشهر نفسه استكمل نابليون سيطرته على القاهرة والاسكندرية ورشيد[٥] . وقد اكدت هذه الحملة على تراجع قوة ومكانة الدولة العثمانية وعدم قدرتها على اتخاذ دور في العلاقات الدولية التي انتقل ثقلها الى الدول الاوربية .

---

(١) ابتسام خليل محمد واخرون، ردود الفعل العثمانية المبكرة على الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨، مجلة كلية العلوم الإنسانية، الجزء ٨، العدد ١، جامعة زاخو، اذار ٢٠٢٠، ص٧٠.

(٢) عمر الاسكندري وحسن سليم، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٧.

(٣) وداد زوبيري، حملة نابليون بونابرت على مصر ١٧٩٨-١٨٠١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ٢٠١٥، ص٤٧.

(٤) خاليدة بليدي، الحملة الفرنسية على مصر وموقف الجزائر منها من خلال وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ١٢،جامعة تبسة، الجزائر، د. ت، ص٤٣.

(٥) نيم محمد، دراسة الحملة الفرنسية وأهمية سجلات عبد الرحمن الجبرتي خلال الحملة الفرنسية في مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، مشروع الدراسة العربية المستقلة (ISP) العام بالخارج الإسكندرية، مصر، ٢٠١٧-٢٠١٨، ص٣.

أعرب السلطان سليم الثالث[١] عن استيائه من الاحتلال الفرنسي لمصر، وأمر واليها على مصر أبو بكر باشا، باتخاذ الاستعدادات العسكرية اللازمة للتصدي للفرنسيين[٢]. بينما اعلنت انكلترا استعدادها لتقديم الدعم العسكري للدولة العثمانية لطرد الفرنسيين من مصر. وفي الوقت نفسه، قررت روسيا ارسال سفنها الحربية وشحنها بالمقاتلين للتصدي للقوات الفرنسية في مصر[٣] . وسعى نابليون لاظهار حسن نواياه تجاه الدولة العثمانية، مشيرا الى ان احتلاله لمصر لا يؤثر على مجمل العلاقات بين البلدين [٤]. غير ان السلطان سليم الثالث امر حكام الولايات الثلاث (الجزائر وتونس وطرابلس) ارسال كافة التشكيلات البحرية من السفن باتجاه الإسكندرية، من اجل شن هجوم موحد، الى جانب الاسطولين الروسي والإنكليزي، اللذين يستعدان في البحر المتوسط لمهاجمة الاسطول الفرنسي [٥] .

وقد ادرك السلطان سليم الثالث أهمية الدور الذي من الممكن ان تمارسه الجزائر في التصدي للحملة الفرنسية من خلال اعتراض سفنها في البحر المتوسط[٦]. وكشف لداي الجزائر مصطفى باشا[٧] في رسالة بعثها له في آب ١٧٩٨، عن تهديدات ومخاطر الحملة التي قام بها نابليون بونابرت على مصر، ونيته في احتلال سواحل شمال افريقيا ، ومن

---

(١) سليم الثالث : هو ابن السلطان مصطفى، ولد عام ١٧٦١ . قام بإصلاحات شاملة في الدولة العثمانية، قتل علم ١٨٠٧ للمزيد ينظر : حسنة كمال: العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦.

(٢) أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢،الجزائر، ١٩٨٠، ص٧٦.

(٣) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٨١،ص٣٧٤-٣٧٥.

(٤) خاليدة بليدي، المصدر السابق، ص٤٣.

(٥) رئاسة الوزراء، المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠١.

(٦) درعي فاطمة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية ١٧٨٩-١٨١٥، مجلة الحوار المتوسطي، العدد ٣-٤، جامعة بسكرة، د.ت، ص٦٥.

(٧) الداي مصطفى باشا: ارتقى إلى رتبة خزناجي في حكومة خاله الداي حسن ثم تول الحكم بعد وفاته عام ١٧٩٨ . وقد ارتبط بعلاقات جيدة مع فرنسا، ومنح حرية واسعة لليهود للتصرف في شؤون الجزائر. وبقي في منصبه إلى أن اغتيل سنة ١٨٠٥م، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بوشنافي: "الداي مصطفى باشا وعصره"، مجلة عصور الجديدة، العدد٧و٨،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ٢٠٠٣.

ضمنها الجزائر لاقامة امبراطورية في حوض البحر المتوسط. وحذره من تصديق الشائعات التي تروجها فرنسا، في سبيل اثارة الفوضى والاضطرابات في الولايات العثمانية [١]. وشدد السلطان سليم الثالث على الداي بضرورة اتخاذ كافة الإجراءات العسكرية اللازمة، بهدف تعزيز السواحل بالحصون وتجهيزها بالجنود لتقوية الدفاع عن الجزائر. كما طالبه باعتراض السفن الحربية الفرنسية، التي تتنقل بين مينائي طولون والإسكندرية [٢] .

وعلى الرغم من التحذيرات التي اطلقها السلطان سليم الثالث ، الا ان الجزائر اتخذت موقفا محايدا من الاحتلال الفرنسي لمصر، بحكم العلاقات الطيبة والسليمة التي ارتبطت بها مع فرنسا، بل ان الداي مصطفى باشا رفض الامتثال لاوامر السلطان، او اعلان الحرب على فرنسا لتعارضها مع مصالح الجزائر[٣]. وفي المقابل حاول نابليون كسب ود الولايات الثلاث (الجزائر وتونس وطرابلس الغرب) وحذرها في الوقت نفسه من مغبة اعلان الحرب ضد فرنسا، والاضرار بمصالحها في البحر المتوسط [٤] . كما نبه نابليون حكام الولايات الثلاث، من تراجع الموارد البحرية من اعمال القرصنة ،اذا ما اشتركت في التحالف الذي تروم الدولة العثمانية اقامته مع روسيا وبريطانيا [٥].

---

(١) خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة ١٧٩٨-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التاريخ والاثار، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) حميد آيت حبوش، الجزائر كانت قوة كبيرة في غرب المتوسط قبل الاحتلال الفرنسي، مقال منشور على الموقع الالكتروني : www.eldjoumhouria

(٣) جميل عائشة،الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني ١٥٢٠-١٨٣٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليباس، الجزائر، ٢٠١٨، ص ١٧٩.

(٤) وحيد خينش، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني – الجيش انموذجا –، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٥، ص١٢٩.

(٥) مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج٣،مكتبة النهضة، بيروت، ١٩٦٤، ص٢٥٠.

كانت تلك التهديدات كفيلة لاتخاذ الجزائر موقفا مساندا لفرنسا بعد الحصار الذي عانى منه نابليون في مصر، على اثر تحطم اسطوله في معركة ابي قير[١] من قبل الاسطول البريطاني، فبادرت الجزائر بأرسال المساعدات والمؤن الى الجيش الفرنسي في مصر. وفي غضون ذلك ، اعلن السلطان العثماني سليم الثالث في ٢ أيلول١٧٩٨ الحرب على فرنسا ، ثم بعث بفرمان الى داي الجزائر مصطفى باشا في ١٦ تشرين الأول ، يأمره باعتقال القنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين، واعتراض السفن الفرنسية في البحر المتوسط واحتجازها [٢]. وبعد مناقشات حادة جرت في ديوان الداي قرر أعضاء الحكومة التقيد بالحياد تجاه الحرب، الا ان مندوب السلطان هددهم ووصفهم بالخونة في حال عدم تنفيذهم أوامر السلطان [٣] . وعلى الرغم من استجابة باي قسنطينة وعنابة لاوامر السلطان واتخذوا الإجراءات اللازمة ضد المصالح الفرنسية، الا ان الداي رفض الانصياع لاوامر السلطان حفاظا على المصالح الاقتصادية التي ترتبط بها الجزائر مع حليفته فرنسا [٤] .

ومن الواضح ان الجزائر فضلت الحفاظ على علاقاتها ومصالحها مع فرنسا على مسألة اعلان الحرب، بالرغم من التهديدات التي طالتها من السلطان العثماني بوصفها ولاية تابعة للدولة العثمانية . كما ان الدعم الإنكليزي والروسي للدولة العثمانية لم يمنع تمسك السلطان العثماني في الزام الجزائر بإعلان الحرب على فرنسا .

(١) ابي قير : معركة بحرية وقعت في ٢ أب ١٧٩٨ بين القوات البحرية الإنكليزية بقيادة نلسون والأسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت، انتهت بهزيمة الفرنسيين الذين تكبدوا خسائر كبيرة كان لها اثر على استمرار الحملة في مصر . ينظر : ربيع خالد الفرجات، الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/١٧٩٨-١٨٠١م) دراسة تحليلية في نتائج وآثار الحملة الفرنسية على مصر العثمانية، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٥، عدد١، ٢٠١٨، ص٢٥٠.

(٢) وحيد خينش،المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣) خليفة إبراهيم حماش، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٤) درعي فاطمة، المصدر السابق، ص٦٦.

ثالثاً: تارجح الموقف الجزائري من اعلان الحرب و عودة العلاقات السرية مع فرنسا

بذل السلطان سليم الثالث جهودا كبيرة في محاولة لتعطيل العلاقات بين فرنسا والجزائر، فأرسل مبعوثه الى الجزائر في ١٩ كانون الأول ١٧٩٨ وقدم رسالة الى الداي مصطفى باشا جاء فيها " إن الباب العالي عازم كل العزم على رد الاعتداءات الفرنسية على أملاك السلطنة وقد اصدرنا امرنا بالقبض على القنصل الفرنسي المقيم في مدينتكم وسجنه مع رعاياه ، وان تسارعوا في الجهاد باعتراض واحراق سفن الفرنسيين" [١]. وقد حمل مبعوث السلطان فرمان تولية وخلع ، وتهديد من السلطان بخلع الداي، وقطع المعونات العسكرية عن الجزائر[٢] .

ايقن الداي بأن السلطان سليم الثالث ، يعد خطة هدفها الالتفاف على الجزائر لإعادة السلطة العثمانية المباشرة عليها، وهذا ما دفعه للوقوف متحفزا امام اية محاولة لخلعه او اعادة فرض السيادة العثمانية، وتهديد المصالح الجزائرية الاستراتيجية في البحر المتوسط . ولضمان ديمومة حكمه ، اتخذ الداي مصطفى أولى خطواته لتنفيذ أوامر استانبول ، فأعلن الحرب على فرنسا في ٢١ كانون الأول ١٧٩٨، وأمر بسجن القنصل الفرنسي دومينيك مولتيدو(Moltedo Marie De) مع ١٢ عاملاً بالقنصلية، وامر باي قسنطينة والقل وعنابة بإيقاف التعامل مع الفرنسيين [٣] . وفي غضون ذلك ، بدات سفن الاسطول الجزائري بشن الهجوم على السفن الفرنسية في ٢٥ من الشهر نفسه، ودمرت المؤسسات الفرنسية الواقعة على سواحل الجزائر، واسرت عمالها الى مدينة الجزائر[٤] . وقد اسفرت تلك الاوضاع في نقص الموارد بموانئ فرنسا الجنوبية، وصعوبة التواصل مع قواعدها العسكرية في مالطة ومصر[٥] ، الامر الذي دعا السلطات الفرنسية لاصدار اوامرها بالتعرض للسفن الجزائرية والتونسية والطرابلسية، وإيقاف بحارة السفن مع رعاياهم والاستيلاء على أموالهم ومهاجمة كل سفينة تحمل العلم الجزائري [٦] .

كان من الطبيعي ان يؤدي هذا العمل إلى استياء الداي، الذي شعر بالخطر الذي يهدد الجزائر. فقرر إعادة علاقاته مع فرنسا بصورة سرية ، خشية من رد فعل الدولة العثمانية.

---

(١) البير دوفال: الرايس حميدو، : ترجمة: العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص ٣٢-٣٤.

(٢) درعي فاطمة، المصدر السابق، ص٦٦.

(٣) جميل عائشة، المصدر السابق ص١٧٤.

(٤) وحيد خينش، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٥) خليفة إبراهيم حماش، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٦) درعي فاطمة، المصدر السابق، ص٦٦.

واوعز لبعض التجار اليهود ومنهم بكري وبوشناق وبوخريص دعم فرنسا، عبر تزويدها بالحبوب، فضلا عن معونات قدمها يهود الجزائر الى الجيش الفرنسي في مصر [١]. الا ان استانبول أعربت عن استيائها من الدعم الجزائري لفرنسا رغم إعلانها الحرب، وأصدرت اوامر لمعاقبة التجار اليهود الذين تعاملوا مع فرنسا ، ودعت الى تطبيق القوانين الرادعة بحق المخالفين ، والعمل على منع نقل الحبوب والمواد الغذائية من الجزائر إلى الموانىء الفرنسية. لكن الداي تجاهل ألاوامر الصادرة من استانبول ، نظرا للعلاقات الجيدة التي ارتبط بها مع التجار اليهود، واقدم على تعيين التاجر اليهودي بوجناح امينا للطائفة اليهودية في الجزائر عام ١٨٠٠ [٢] .

سعت فرنسا لاصلاح علاقتها مع الجزائر، بعد ان لاحت هزيمة الجيش الفرنسي في مصر، فتوجه وفد فرنسي في ١٣ أيار ١٨٠٠ برفقة القنصل الفرنسي مولتدو، بهدف عقد معاهدة صلح مع الجزائر [٣] . وبعد مفاوضات جرت بين الجانبين، تم الاتفاق على عقد اتفاق صلح في ٢٤ أيار١٨٠٠ ، وتقرر انهاء الحرب بين الجانبين[٤]. لكن السلطان سليم الثالث دعا الى وقف اجراءات الاتفاق بصورة فورية، وهدد بإرسال أسطوله لمعاقبة الجزائر، ما لم تقم بإلغاء الاتفاق وتواصل حربها على فرنسا. كما رفض السلطـان سليم الثالث استقبال مبعوث الداي مصطفى باشـا والهدايـا التي بعثهـا الـيه [٥] . فاضطر الداي الى تعليق الاتفاق [٦] .

---

(١) تمكن اليهود من السيطرة على التجارة والاستحواذ على المبادلات التجارية بسبب قدرتهم المالية ونيلهم ثقة الحكام . ينظر : ناصر الدين سعيدوني،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس طرابلس الغرب من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، جوليات الاداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والثلاثون، ٢٠١٠، ص٤٣.

(٢) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي ١٥١٤-١٨٣٠، دار هومه، الجزائر، ٢٠١٢، ص١٩١-١٩٢.

(٣)عزيز سامح الِرَ، الاتراك العثمانيين في شمال افريقيا، ترجمة : د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٩، ص٥٧٥.

(4)Albert Devoulx, «document sur Alger a l'époque du consulat », In R.A, N32, 1862, P.128- 129

(٥)خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص١٦٠.

(٦) فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (١٧٨٢-١٨٣٠م)، مؤسسة كوشكار، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص. ١٨١.

كانت للهزيمة التي تعرض لها الفرنسيون في مصر، أثر في التفكير في وقف الحرب واعادة مصالحها التجارية مع الجزائر. فعينت فرنسا ديبوانتفيل اذ ارتبط بعلاقات حسنة مع التاجران اليهوديان بكري وبوشناق، اللذين لعبا دور الوساطة لعقد الصلح بين الجزائر وفرنسا. وبعد لقاءه الداي تعهد ديبوانتفيل بتسديد الديون المستحقة على فرنسا ، ووافق على دفع بلاده الاتاوة التي طالب بها الداي شرطا لعودة العلاقات بين البلدين. وقد مارس ديبوانتفيل مكره من خلال إحالة تسديد الديون الفرنسية الى التاجرين اليهوديين مع الاتاوة التي طلبها الداي، على ان تقوم باريس بتسديدهما في وقت لاحق [١]. وبعد انتهاء المفاوضات تم الاتفاق على عقد هدنة لوقف الحرب بين الطرفين في ١٩ تموز ١٨٠٠، وسمح الداي للشركات الفرنسية والمراكز التجارية، باعادة أنشطتها التجارية في الجزائر[٢].

حرض الإنكليز السلطان سليم الثالث بعد عودة العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وامر السلطان العثماني باعتقال الرعايا الجزائريين القائمين في الإمبراطورية العثمانية ومصادرة ممتلكاتهم [٣] . واصدر فرماناً منع بموجبه سفن الجزائر وتونس وطرابلس الغرب من دخول الموانئ العثمانية ، وأمر بطرد وكلاء الجزائر المكلفين بالتجنيد في ازمير[٤] . وقد تكبدت الجزائر أثر ذلك خسائر بالغة دعت الداي مصطفى لارسال رسالة الى نابليون طالبه بدفع مائتي الف قرش تعويضا عن ما لحق بالجزائر من خسائر مادية [٥]. غير ان نابليون رفض دفع المبلغ وهدد الداي بغزو الجزائر إذا لم يتراجع عن مطالبه، فما كان للداي الا الاستسلام ، مؤكدا برسالة بعثها لنابليون عن عمق العلاقات الفرنسية الجزائرية و" الإبقاء على الصداقة التي تجمع بين البلدين، رغم الخلافات التي تنتابها في بعض الاحيان " [٦] .

---

(١) درعي فاطمة، المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

(٢) حميد آيت حبوش، "**الجزائر كانت قوة كبيرة في غرب المتوسط قبل الاحتلال الفرنسي**"، مقال منشور على الموقع الالكتروني : www.eldjoumhouria

(٣) عروك رنجة،العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية ١٧٩١-١٨٣٠،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٥، ص٦٣.

(٤) بيار دوفال، الريس حميدو، المصدر السابق، ص ٣١.

(٥) جمال قنان، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

(٦) خطاب فطوم، المصدر السابق، ص ٩٨.

ومع استمرار الضغوط من السلطان العثماني، امر الداي بتعليق الصلح مع فرنسا، وطالب القنصل الفرنسي ديبوا نتفيل بمغادرة الجزائر [١]. ثم اعلنت الجزائر الحرب مرة اخرى على فرنسا في كانون الثاني عام ١٨٠١وقد وصف وزير الخارجية الفرنسي إجراءات الجزائر بانها " حرب بدون عمليات عسكرية " . واستمرت العلاقات على هذا النحو حتى جلاء القوات الفرنسية من مصر [٢].

رابعا : العلاقات الفرنسية الجزائرية بعد الانسحاب الفرنسي من مصر ١٨٠١

بعد انسحاب فرنسا من مصر في ١٨ تشرين الاول ١٨٠١[٣]، عاد القنصل الفرنسي الى الجزائر، ثم استؤنفت المفاوضات بين الجانبين في ١٧ تشرين الثاني من العام نفسه، ابرمت معاهدة صداقة بين فرنسا والجزائر حوت ١٩ مادة ، والتي اكدت على ما جاء في المعاهدات السابقة الخاصة بالملاحة والتجارة . وشددت الجزائر على مسألة تسديد فرنسا ديون التاجرين كشرط أساسي لعودة العلاقات السلمية بين الطرفين [٤]. وقد تعهدت فرنسا بتسديد الديون المترتبة عليها، الا انها سرعان ما تنصلت عن وعودها فيما بعد ، ومارست اسلوب المماطلة والتسويف في تنفيذ التزاماتها تجاه الجزائر[٥] .

---

(١) عزيز سامح الِرَ، الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ص٥٧٦.

(٢) خليفة إبراهيم حماش، المصدر السابق، ص٢١١.

(٣) بعد ان غادر نابليون بونابرت مصر متوجها الى فرنسا من أجل قيادة بلاده، ترك قيادة الحملة للجنرال كليبر، الذي لم يكن يرغب في الاستمرار بالبقاء في مصر، بسبب الاوضاع الاقتصادية السيئة، وتراجع معنويات الجيش الفرنسي بعد توالي الهزائم، واندلاع ثورات قام بها المصريين ضد الحملة، فضلا عن تحالف إنجلترا وروسيا والدولة العثمانية ضد فرنسا بعد غزوها مصر. فبدأت بوادر عقد الصلح بين فرنسا والدولة العثمانية اسفرت عن توقيع معاهدة العريش في كانون الثاني ١٨٠٠ التي اقرت انسحاب القوات الفرنسية من مصر. الا ان المعاهدة لم تنفذ بسبب مقتل كليبر . وبعد تعيين جاك مينو قائدا للحملة بدأت المفاوضات بين فرنسا وانكلترا لتسوية المشاكل بينهما اسفرت عن عقد اتفاقية اميان والتي كانت احدى بنودها، سحب القوات الفرنسية من مصر على متن سفن إنكليزية. وقد نفذ الاتفاق في تشرين الأول ١٨٠١ . ينظر : وداد زوبيري، المصدر السابق، ص٦٤-٧٠ .

(٤) حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الايالة١٨١٥-١٨٣٠، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٥٠.

(٥) علي تابليت، الرايس حميدو اميرال البحرية الجزائرية ١٧٧٠-١٨١٥، الجزائر، ٢٠٠٦، ص٩.

عاد التوتر في العلاقات بين الطرفين، بعد ان طالب الداي مصطفى فرنسا، بالإسراع بتسديد ديونها. فأقدمت فرنسا على ارسال سفنها بالقرب من السواحل الجزائرية، لاستعراض قوتها وإرهاب الجزائريين ، وأثارت في الوقت نفسه، مسألة التشكيك في ترجمة معاهدة ١٨٠١التي رفضت فرنسا اعتمادها ، واتهمت الجزائر بإساءة فهم المعاهدة، وطالبت بإعادة ترجمة دقيقة لبنود المعاهدة. وقد اعرب الداي مصطفى عن استيائه من تأخر فرنسا في تسديد ديونها وترددها في ارسال الهدايا، في الوقت الذي بادرت فيه الجزائر بأطلاق سراح الاسرى الفرنسيين، وقدمت الأموال لقاء اطلاق سراح رعاياها . وقد اثار لقاء القنصل الفرنسي ديبوانتفيل غضب الداي، الذي حاول الحفاظ على العلاقات الودية مع فرنسا، وتعهد بمنح الحصانة للقنصل ديبواتنفيل [١].

وقد اثار ذلك تصرف الداي حفيظة رياس البحر الجزائريين ، فقرروا توجيه ضربة للمصالح الفرنسية . فاقدم الاسطول الجزائري بضرب عدد من السفن الفرنسية، مما تسبب في غرق ووفاة البحارة الفرنسيين، واجبروا الداي مصطفى على الغاء امتياز صيد المرجان [٢]. وقد أعربت فرنسا عن استيائها من تصرفات رياس البحر، فوجهت انذارا طالبت الداي مصطفى بدفع مائتي الف قرش، وبعكسه سيتم الغاء معاهدة الصلح بينهما ، وإعلان الحرب خلال مدة لا تتجاوز أربعين يوما . وعدت فرنسا بان الجزائر ملزمة باحترام معاهدة الصلح التي عقدتها فرنسا مع الدولة العثمانية، والتي اكدت في احدى بنودها على حفظ المصالح الفرنسية في ولاية الجزائر التابعة للدولة العثمانية[٣] .

ومن الواضح ان فرنسا قد تنكرت لمواقف الجزائر الداعمة لها اثناء الحرب التي واجهتها من إنكلترا وروسيا والدولة العثمانية بعد غزوها لمصر، وكانت بذلك تحاول تعكير صفو العلاقات لأحكام القبضة على الجزائر، على الرغم من المواقف الودية التي اتخذتها الجزائر تجاه فرنسا خلال الثورة الفرنسية وبعد الازمات السياسية والاقتصادية التي عانتها من حروب نابليون بونابرت في اوربا وبعد احتلاله مصر عام ١٧٩٨ .

---

(١) درعي فاطمة، المصدر السابق، ص٦٧.

(٢) يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر ج ٢، ص ٩١.

(٣) عزيز سامح الِرَ، الاتراك العثمانيين في شمال افريقيا، ص٥٧٩.

الخاتمـــة

كشفت الحملة الفرنسية على مصر عن عجز الدولة العثمانية في الدفاع عن أراضيها من التهديدات الاوربية. كما بينت طبيعة العلاقة التي ارتبطت بها الجزائر مع الدولة العثمانية ومدى قدرة استانبول على فرض ارادتها على ولاتها . اذ إن موقف الجزائر الرافض لاعلان الحرب على فرنسا ينم عن رغبتها الجدية في تعزيز استقلالها الذاتي عن الدولة العثمانية . وكانت الجزائر على يقين تام بعدم جدوى الدخول في مواجهة مع فرنسا تكون نتيجتها احتلال والسيطرة على البلاد . في حين كانت الدولة العثمانية تأمل في اتخاذ الجزائر دورا تضامنيا معها، بوصفها احدى ولاياتها، لما تتمتع به من موقع جغرافي وقدرة بحرية كبيرة ، تمكنها من التحكم بين شرقي وغربي البحر المتوسط، ومن ثم تؤثر على الوجود الفرنسي في مصر.

لقد برزت العلاقات بين الجزائر وفرنسا، عاملا اساسيا في تحديد الموقف الجزائري من الاحتلال الفرنسي على مصر، نتيجة لامتلاك الطرفين مصالح واسعة تمثلت في الاتفاقيات والمعاهدات التي فرضت على فرنسا دفع الضرائب والرسوم السنوية والمساعدات العينية والهدايا التي كانت تقدمها الى الجزائر، يقابلها حماية الأخيرة للمصالح الفرنسية من شركات تجارية وامتيازات صيد المرجان وتصدير الحبوب والجلود وغيرها من السلع. وقد ادركت فرنسا بان اعلان الجزائر الحرب ضدها كانت تحت ضغط من السلطان العثماني ، لرغبتها في الحفاظ على حالة السلم مع فرنسا .

وقد اتضح من خلال البحث ان فرنسا كانت لها أطماع في توسعة املاكها خارج القارة الاوربية واخذت تتحين الفرص ووضعت الدراسات والخطط والمشاريع لتحقيق ذلك الهدف . وكانت الجزائر احدى محطات ذلك الطموح على الرغم من اظهارها العلاقات الودية والصداقة مع دايات الجزائر والارتباط الاقتصادي الكبير بين البلدين ، لكنها حاولت استغلال مكانة الجزائر وقوتها المهيمنة في البحر المتوسط فراحت تهادن الجزائر وتسعى لاخراج من دائرة حربها مع الدولة العثمانية . وبعد انسحابها من مصر بدأت فرنسا تنظر بعدم الارتياح الى قوة الجزائر البحرية، لان وجود كيان عربي قوي في المنطقة كان يتقاطع مع مصالحها السياسية والاستراتيجية ، لذلك بدأت الخلافات تدب بين الطرفين واستغلت ذلك التوتر لتحقيق مشروعها الاستعماري في الجزائر بعد فشلها وانسحابها من مصر .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب العربية

- أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢ ،الجزائر، ١٩٨٠.
- إسماعيل احمد ياغي ،العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط١، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٧.
- البير دوفال: الرايس حميدو ، : ترجمة: العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، الجزائر، د.ت.
- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الايالة١٨١٥-١٨٣٠ ، الجزائر ، ٢٠٠٧.
- صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ١٥١٤-١٨٣٠، دار هومه ، الجزائر ، ٢٠١٢.
- عزيز سامح الِرَ ، الاتراك العثمانيين في شمال افريقيا ، ترجمة : د. محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٩ .
- علي تابليت ،الرايس حميدو اميرال البحرية الجزائرية ١٧٧٠-١٨١٥، الجزائر ، ٢٠٠٦،
- عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٠١ ، ٢٠٠٢.
- عمر الاسكندري وحسن سليم ، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (١٧٨٢-١٨٣٠م)، مؤسسة كوشكار، الجزائر، ٢٠٠٨.
- مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج٣،مكتبة النهضة ، بيروت ، ١٩٦٤.
- محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ .

❖ مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل عام ١٨٣٠، ج٢ ، ط٢ ، الجزائر ، ٢٠٠٧.

❖ يحيى بو عزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج٢ ، دار المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ٢٠٠٩.

❖ يحيى بو عزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ١٥٠٠-١٨٣٠ ، الجزائر، ١٩٨٠.

ثانياً: الكتب الأجنبية

❖ Albert Devoulx, «document sur Alger a l'époque du consulat », In R.A, N32, 1862.

❖ Paul Gaffarel.la Conquête de l'Algérie jusque a la prise de Constantine ;Libraire de Firmin Didot et c i.e. Mesnil ,1956.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

❖ جميل عائشة ، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني ١٥٢٠-١٨٣٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة جيلالي ليباس، الجزائر ، ٢٠١٨.

❖ حسنة كمال: العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٦.

❖ حكيمة حدون و خديجة بن رنجة ، مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات (حرب اليونان انموذجا) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة ، الجزائر ، ٢٠١٦ .

❖ خطاب فطوم ، التحالف الأوربي وتجدد العلاقات الفرنسية الجزائرية ١٨٠٠-١٨٣٠،رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجيلالي اليابس ، الجزائر ، ٢٠١٥.

❖ خليفة إبراهيم حماش ، العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة ١٧٩٨-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التاريخ والاثار ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٨.

❖ سارة العيشي وخديجة موساوي ، الامتيازات الفرنسية في الجزائر خلال العهد العثماني ١٦٠٤-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة بو ضياف ، الجزائر ، ٢٠١٧ .

❖ عروك رنجة ،العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية ١٧٩١-١٨٣٠،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، ٢٠١٥.

❖ مجاهد حبيب ، العلاقات الفرنسية الجزائرية خلال عهد الدايات ١٦٧١-١٨٣٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة مولاي الطاهر ، الجزائر ، ٢٠١٣ .

❖ وحيد خينش ،المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني – الجيش انموذجا – ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، ٢٠١٥.

❖ وداد زوبيري ، حملة نابليون بونابرت على مصر ١٧٩٨-١٨٠١، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، ٢٠١٥ .

رابعاً: المجلات العربية

❖ ابتسام خليل محمد واخرون ، ردود الفعل العثمانية المبكرة على الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨، مجلة كلية العلوم الإنسانية ، الجزء ٨، العدد ١، جامعة زاخو ، اذار ٢٠٢٠.

❖ بو زرينة سعيد، حكم الدايات في الجزائر... حسن باشا أنموذجًا (١٢٠٥-١٢١٢هـ/١٧٩١-١٧٩٨م(سياسته ومنجزاته المعمارية، المجلة العلمية لكلية الاداب ،العدد ٧٢، أسيوط، أكتوبر ٢٠١٩ .

❖ خاليدة بليدي ، الحملة الفرنسية على مصر وموقف الجزائر منها من خلال وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد ١٢،جامعة تبسة ، الجزائر ، د. ت .

❖ درعي فاطمة ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية ١٧٨٩-١٨١٥، مجلة الحوار المتوسطي ، العدد ٣-٤، جامعة بسكرة ،د.ت .

❖ ربيع خالد الفرجات ، الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/١٧٩٨-١٨٠١م) دراسة تحليلية في نتائج وآثار الحملة الفرنسية على مصر العثمانية ، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٥، عدد١ ، ٢٠١٨ .

❖ سحر ماهود محمد ، الأجهزة الإدارية العثمانية في ايالة الجزائر ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، مج ١٥ ،العدد ١، ٢٠١٧ .

❖ عديدة الشارف ، خلفيات التنافس الأمريكي الفرنسي على منطقة المغرب العربي ١٧٨٣-١٩٦٢دراسة في حالة الجزائر ،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والاجتماعية ، العدد ٤٣، جامعة بابل ،نيسان ٢٠١٩.

❖ محمد بوشنافي ، "الداي مصطفى باشا وعصره"، مجلة عصور الجديدة، العدد٧و٨ ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ٢٠٠٣.

❖ ناصر الدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس طرابلس الغرب من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي) ، جوليات الاداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الحادية والثلاثون ، ٢٠١٠.

❖ نيم محمد ،دراسة الحملة الفرنسية وأهمية سجلات عبد الرحمن الجبرتي خلال الحملة الفرنسية في مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، مشروع الدراسة العربية المستقلة (ISP) العام بالخارج الإسكندرية ، مصر، ٢٠١٧-٢٠١٨.

خامساً: المواقع الالكترونية :-

❖ حميد آيت حبوش، "**الجزائر كانت قوة كبيرة في غرب المتوسط قبل الاحتلال الفرنسي**"، مقال منشور على الموقع الالكتروني : www.eldjoumhouria

سادساً: الموسوعات العربية :

- عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج٣ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت.
- ----- ، الموسوعة السياسية ، ج٥ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت.
- ------ ، الموسوعة السياسية ، ج٦ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت.
- ----- ، الموسوعة السياسية ، ج٧ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت.